

الطعام لكل فم

توفيق الحكيم ١٩٦٣

الفصل الأول

« حجرة جلوس عادية في شقة حمدي عبد الباري رئيس قلم المحفوظات في إحدى الوزارات ... كل ما بهم معرفته في هذه الحجرة هو أن بها شباكًا يطل على منور ... ومن هذا الشباك يحدث أحياناً التخاطب مع الجارة الساكنة في الشقة العليا ... هذا الشباك في الجانب الأيمن من المسرح، يقابله باب في الجانب الأيسر، أما في الصدر فلا يوجد غير الحائط ... حائط أبيض عار ... على أن هذا الحائط العاري ليس في الصدر تمامًا ... إنه منحرف قليلاً ... وكذلك الشباك والباب الجانبيان منحرفان ... والقول بأن هذا الحائط أبيض هو باعتبار ما كان ... فهناك بقعة كبيرة آتية من السقف آخذة في الانتشار على أديم الحائط ... وحمدي ينظر إلى هذه البقعة وهو يعقد رباط عنقه استعداداً للخروج ... »

حمدي (صائحًا) : سميرة ! ... تعالي يا سميرة بسرعة ! ... تعالي انظري أعمال جارتك !

سميرة (من خارج الحجرة) : لحظة واحدة يا حمدي !

حمدي : ماذا تفعلين عندك ؟

سميرة (من الخارج) : أفعل شيئاً مفيداً على الأقل ... أرتق لك جواربك الممزقة ... شيء لا تفكر فيه أنت طبعاً ... كفاية عليك قعدة القهوة والطاولة والشيش جهار والشيش بيش !

حمدي : سبحان الله في طبعك يا شيخة ... أهذا وقته ! تعالي انظري الحائط الذي غرق من مياه جارتك ست عطيات !

« تظهر سميرة ... »

سميرة : ماذا تقول ؟

حمدي (يشير لها إلى البقعة المنتشرة فوق الحائط) : انظري !

سميرة (ناظرة في انزعاج) : يا مصيبتتي !

حمدي : يعجبك ؟!

سميرة : ماذا تفعل فوق ؟! ... تغسل بلاط شقتها ؟!

حمدي : بكل هذه المياه ! ... مستحيل ! ... إنها قلبت شقتها إلى بحر يعوم فيه السمك والمراكب !

سميرة : أنا عارفة ست عطيات ! ... غشيمة في شغل البيت ... مشغولة لشوشتها في تركة المرحوم زوجها وإخوته والمحامين والقضايا ... وطردت من يومين خدامتها ... وهاهي لاصت وغرقت في شبر ماء ...

حمدي (مشيراً إلى الحائط) : أهذا كله شبر ماء ؟! ... ومع ذلك قد أغرقتنا نحن أيضاً فيه ! ... ما ذنبنا نحن ؟ ... وما ذنب حائطنا يشوه بهذا الشكل ؟!

سميرة : حقاً ... هذا لا يصح منها أبداً ... (تتجه إلى الشباك المطل على المنور وتنادي) ست عطيات ! ... ست عطيات !

عطيات (في الخارج من المنور) : نعم يا ست سميرة !

سميرة : إذا سمحت انزلي عندنا دقيقة واحدة !

عطيات : أنا خارجة ... عندي ميعاد مع المحامي ...

سميرة : دقيقة واحدة من فضلك ... المسألة مهمة !

عطيات : أمر عليك في طريقي وأنا نازلة ...

سميرة (ترك الشباك) : يحسن أن نعالج الموضوع معها بالحسنى ... إنها ليست بالمرأة السهلة !

حمدي : عاجلي معها الموضوع كما تشائين ... المهم هو أن تزال هذه البقعة، بل هذا النشع، ويعود حائطنا إلى أصله ...

سميرة : إنها ستأتي هنا وترى بعينيها الضرر، وعليك أن تتفق معها على اللازم !

حمدي : أنا الذي أتفق ؟!

سميرة : طبعاً ... ومن غيرك ؟!

حمدي : وأترك إخوتنا على القهوة ملطوعين ... (ينظر في ساعته) أنا متأخر ربع ساعة !

سميرة :كملها نصف ساعة وانتظر حتى تنهي الموضوع ... وأنا متأكدة أنك ستجد الطاولة في مكانها وإخوانك في مكانهم كالعادة !

حمدي : ولكن اليوم خلاف العادة يوجد رهان على عشرة طاولة مهم جداً !

سميرة : بالطبع هذا الشيء مهم جداً ... لأن حياتك كلها أعمال مهمة جداً ... لكن أرجوك !

حمدي : أرجوك أنا ... كفاية سخرية وتريفة على حياتي ! ... ما لها حياتي؟! ... وصلت إلى مركز رئيس ... موظف مهم ! ... رئيس قسم بحاله ... أهذا شيء قليل ؟ ... أحفظ للوزارة ملفاتنا ... كل ملفاتنا ... تصوري ! ... أنا مفتاح الوزارة !

سميرة : مفتاح صندوق الوزارة ! ...

حمدي : تمام ... بالضبط ...

سميرة : مجرد مفتاح ...

حمدي : نعم ... مجرد مفتاح ... فليكن ... هل المفتاح شيء تافه؟!!

سميرة : أنا لم ألفظ كلمة «تافه» ... أنت الذي لفظتها !

حمدي : وأنت ؟ ... ما هي حياتك ؟ ... ما هي الأعمال المهمة جداً في حياتك ؟ ... ترقيع جواربي الممزقة؟!!

سميرة : نعم ... مع الأسف !

حمدي : لماذا «مع الأسف»؟! ... ماذا كنت تريد أن تفعل أحسن من ذلك؟!!

سميرة : حقاً ...

حمدي : نحن أحسن الناس ... وأهم الناس ... تأكدي من ذلك ! ... ولكنك تسمعين كلام أختك وزوج أختك ... أختك تحسدك وتغار منك ... وزوج أختك شاب مغرور ... حنة محاسب في شركة ... يظن نفسه وزير مالية !

سميرة : أختي تقول إن زوجها يعرف على الأقل ما في ملفاتنا ... أما أنت فتحفظ ملفات لا تعرف ما بداخلها ! ... مجرد مفتاح لا يعرف ما في الصندوق !

حمدي : داهية تسم أختك !

سميرة : أما زوجها فيقول إنك خلاف الكلام في الشيش بيش والشيش جهار ماتعرف الكلام في شيء على الإطلاق ...

حمدي : غرضه أنني أكلمه في ميزانية شركة إبر بوابير الجاز؟!!

سميرة : شركة أنابيب البوتاجاز من فضلك !

حمدي : قولني له ولو !!! ... طظ !

سميرة : كلامنا أنا وأنت سخيف، تافه ... في نظره طبعاً ونظرها ... عمرنا ما تكلمنا في مواضيع راقية محترمة !

حمدي : وما له !

سميرة : خصوصاً من يوم زواجي منك وأنا أنحدر وأنحط ... في رأي أختي وزوجها طبعاً ...

حمدي : غيرة وحسد ! ... ولعنة الله ... على أختك وزوجها طبعاً !

سميرة : الست عطيات !

حمدي : افتحي لها ... افتحي ! ... أنت ناوية على تعطيلي والسلام !

سميرة : كلمها أنت بنفسك ولا تحشرنني ! ... أنا لست قدها !

حمدي : ولا أنا يا ستي ! ... أنا مستعجل !

« سميرة تخرج وتعود بعطيات ... »

عطيات : مساء الخير يا أستاذ حمدي !

حمدي : مساء الخير يا ست عطيات !

عطيات : أفندم ! ... ست سميرة قالت لي أنك طالبني في مسألة ...

حمدي : الواقع ... على كل حال ... هي مسألة غير محتاجة لشرح ... لأنها ظاهرة واضحة قدامنا ... (يشير إلى الحائط) ... تفضلي انظري !

عطيات : أنظر إلى ماذا ؟

حمدي : الحائط ... هذا الحائط ...

عطيات : لا أفهم قصدك ...

حمدي : ألا تشاهدين شيئاً غير عادي على الحائط ؟

عطيات : غير عادي ؟ ... لا ...

حمدي : هذه البقعة الكبيرة ... المنتشرة بطول الحائط وعرضه ...

عطيات : هذا نشع ...

حمدي : نشع ... مضبوط ... اتفقنا !

عطيات : طبعاً نشع ... من الرطوبة ...

حمدي : رطوبة ؟!

سميرة : لا يا ست عطيات ... الرطوبة لا تعمل كل هذا في ساعتين !

عطيات : اسكتي أنت ! ... خلي الكلام مع الرجال !

حمدي : اسكتي يا سميرة !

سميرة : سكت وخليت الكلام بين الرجال ... تفضلوا ... تكلموا !

عطيات : في أي شيء يكلمني ؟ ... في حائطكم ؟! ... وما دخلي أنا في حائطكم ؟ ... إذا

كانت هذه هي المسألة يا أستاذ حمدي أرجوك أن تسمح لي ... أنا عندي ميعاد مع المحامي !

حمدي : لحظة واحدة يا ست عطيات ! ... هذا النشع ليس بفعل الرطوبة ... لأنه لم يكن موجوداً منذ ساعتين فقط ! إنه من مياه تسربت من السقف ... وهذا واضح ... انظري !

عطيات : تقصد أن المياه من عندي ؟!

حمدي : من عندك طبعاً ... أنت فوقنا مباشرة !

سميرة : طبيعي يا ست عطيات أن تغسلي بلاط شقتك ... هذا من حقك ...

عطيات : وما دام هذا من حقي فكيف تكلمونني في هذا الموضوع ؟

حمدي : نكلمك لأن المياه زادت ...

عطيات : وكيف أتحكم فيما زاد وما نقص ... ليس عندي ميزان يا سيدي ... ميزان لقياس الماء اللازم لغسل البلاط ... اسأل زوجتك ... هل عندها هذا الميزان ؟!

سميرة : لا ... ولكن ...

عطيات : ولكن ماذا ؟ ... بلاطي كان في حاجة إلى عملية غسيل، غسيل جد ... بالماء والصابون ... البنت الخدامة كانت مهملة وطردها ... لا تنظف الشقة إلا بالغسيل السطحي ... مجرد مسح بالخيشة مع قليل من الماء ... حتى تراكم الوسخ والتصق بالأرضية ... حرام أغسل الأرضية بالماء والصابون ... بنفسني ... وأنظف شقتي ؟!

سميرة : خير ما فعلت يا ست عطيات ... لكن ...

حمدي : لكن شقتك نظفت ... وشقتنا تلطخت !

عطيات : وما ذنبي أنا ؟!

حمدي : وما ذنبنا نحن ؟!

عطيات : يا سيدي أنا حرة في شقتي، أغسلها على مزاجي ! ... تريد حضرتك أن تتحكم في غسيل شقتي ؟!

حمدي : أبداً يا ست ... اغسليها على مزاجك ... بماء وصابون أو ماء وريحان ... أنت حرة ... على شرط أن لا يصل إلى حائطنا شيء من ماء غسيلك الكريم !

عطيات : وهل تتصور حضرتك أنني أردت أن يصلكم شيء ؟

حمدي : المهم أنه وصل ...

عطيات : هذا شيء خارج عن إرادتي ...

حمدي : لا شك عندنا في ذلك، ولكن نحن الآن في الحاصل ...

عطيات : وما هو الحاصل ؟

حمدي : هذا الذي أمامك، وترينه بعينيك، لطفة طويلة عريضة على حائطنا من ماء غسيلك !
... من الذي عليه إزالة هذا الضرر ؟!

عطيات : وخلاصة كلامك ؟!

حمدي : خلاصة كلامي أن على حضرتك إحضار مبيض يزيل الضرر على نفقتك ...

عطيات : على نفقتي ؟!

حمدي : طبعًا ... مسبب الضرر هو الذي يتحمل ...

عطيات : شيء جميل ! ... يعني كلما أردت تنظيف شقتي جئت بمبيض لحيطان الجيران ؟!

حمدي : هذا هو الواجب ...

عطيات : يلزمني على هذا الأساس مبيض راتب مستديم ... لطلبات الجيران الأفاضل أمثال
حضراتكم !

حمدي : هذا شيء يخصك، كل ما يهمنا نحن هو أن تتكرمي بإزالة هذا الضرر عن حائطنا ...
بالطريقة التي تعجبك !

عطيات : وإذا رفضت ؟

حمدي : أمامنا المحاكم ...

عطيات : محاكم ؟! ... وأنا مستعدة للمحاكم ... والمحامي عندي جاهز ...

سميرة : وما لزوم المحاكم ؟! ... المسألة بسيطة ... وزوجي لا يقصد يا ست عطيات ...

عطيات : زوجك يظن أنه يهددني أنا !

سميرة : إنه لا يقصد أبدًا ...

حمدي : بل أقصد، ووالله، قسمًا بالله لأجرجها إلى المحاكم وأرغمها على الإزالة مع
التعويضات ... أنا قدها، وأعملها ولا يهمني، وكما أن عندك المحامي جاهز ... أنا عندي
المحامي جاهز ... ولا يكلفني أي أتعاب، لأنه صديق، من إخوان القهوة، وأقبله كل يوم
والأعبه طاولة ...

عطيات : أنت ترغمني ؟!

حمدي : على الإزالة والتعويضات ...

عطيات : الإزالة فهمناها ... والتعويضات عن ماذا يا حضرة ؟!

حمدي : عن تعكير دمنا بهذا المنظر الكريه على حائطنا من اليوم حتى تاريخ الفصل في القضية

...

عطيات : سامعة يا ست سميرة ؟! ... يظهر أن زوجك رجل مشاغب على أصوله ...

حمدي : أنا المشاغب ؟!

سميرة : على كل حال يا ست عطيات ليس أحسن من التفاهم بالحسنى، والجيران لبعضها ...

عطيات : أنا لا يمكنني البت في شيء قبل استشارة المحامي ...

حمدي : يعني رافضة ؟

عطيات : أنا قلت استشارة، أليس من حقي أن أفكر وأستشير ؟! ... أمهلوني كي أفكر ...

حمدي : الإسراع أحسن ... لأن كل يوم تأخير بئس منه ...

عطيات : يا حفيظ يا رب !

« تخرج دون تحية ... »

حمدي : أف ! ... كسرت لنا دماغنا ! ... أرجوك يا سميرة، وحياة عينيك، روجي اعلمي لي

فنجان قهوة مضبوط !

سميرة : لكن أنت - الله يحميك - عرفت كيف تطويها !

حمدي : وأطوي أقوى منها !

سميرة : يظهر أنها ناوية تنفذ طلبنا ...

حمدي : يظهر ... (ينظر في ساعته) ... ياه ! ... الوقت راح ...

سميرة : دقيقة واحدة ... القهوة حالاً ...

« تخرج بسرعة ... »

« حمدي يجلس على مقعد مسترخياً، في مواجهة الحائط ... وينظر إلى البقعة المنتشرة والنشع نظرة عابرة غير مبالية في مبدأ الأمر ... ثم يعتدل في جلسته ويأخذ في النظر باهتمام ... ثم بتدقيق وتحديق ... ثم ينهض قافزاً ويقترب من الحائط فاحصاً ... ثم يبتعد عنه قليلاً ويتأمل ملياً متعجباً ... وأخيراً يصيح »

حمدي : سميرة ! ... سميرة !

سميرة (من الخارج) : لحظة واحدة ... أعمل لك القهوة !

حمدي : اتركها ! ... اتركها وتعالى حالاً !

سميرة : قلت لك لحظة !

حمدي : لا ... لا ... تعالي بسرعة ! ... هذا شيء عجيب !

سميرة (داخلة) : ماذا جرى ؟

حمدي (مشيراً إلى الحائط) : انظري ! ... انظري !

سميرة : الماء جف ... النشع نشف ...

حمدي : نعم ... ولكنه ترك ... ألا ترين ماذا ترك ؟

سميرة : خطوط وظلال عجيبة الشكل !

حمدي : ليس هذا فقط ... دققي النظر !

سميرة : نعم ! نعم ! ... كأنها لوحة مرسومة ! ... شيء غريب !

حمدي : تأملوها جيداً ... ماذا فيها ؟

سميرة : فيها ... عجباً ! ... كأنهم ناس !

حمدي : حقاً ... إنهم أشخاص في حجرة ...

سميرة : حجرة فخمة ... هذا شيء مثل ... البيانو ...

حمدي : بيانو كبير بديل ...

سميرة : نعم ... نعم ... ليس مثل البيانو الصغير القديم الذي عندنا في الصالة ...

حمدي : بيانو فخم حقاً ... أترين من تجلس أمامه ؟

سميرة : فتاة ... فتاة جميلة في ريعان شبابها ... أليس كذلك ؟

حمدي : بالضبط ...

سميرة : انظر ثوبها ! ... انظر التفصيل ! ... كأنه آخر موضة !

حمدي : ماذا ترين أيضاً في الحجرة ؟

سميرة : هذه السيدة ... إنها جميلة هي الأخرى وأنيقة ... ولكنها مسنة ... ألا ترى ذلك ؟

حمدي : في نحو الأربعين ... أو أكثر قليلاً ...

سميرة : قل خمسة وأربعين ... ولكنها جميلة وأنيقة ... لكن لماذا تقف هذه الوقفة إلى جانب

الفتاة ... مستندة إلى ظهر البيانو ؟

حمدي : وهذه النظرة ... إنها تنظر إلى الفتاة نظرات ...

سميرة : نعم ... نعم ... نظرات غريبة ...

حمدي : التفتي الآن يا سميرة إلى الجانب الآخر ... الركن الآخر من الحجرة ...

سميرة : حقاً ... هذه كنبه كبيرة يجلس عليها شاب ...

حمدي : شاب يقرأ في أوراق ...

سميرة : وبجانبه فوق الكنبه محفظة ... أتراها ؟

حمدي : بالطبع أراها ... إنه مستغرق في القراءة ...

سميرة : كأنه في دنيا غير الدنيا ...

حمدي : فعلاً ... إنه في واد والسيدة والفتاة في واد آخر ...

سميرة : لا أرى أشخاصاً آخرين ... وأنت يا حمدي ؟

حمدي : ولا أنا ... لا يوجد غيرهم فيما أرى ...

سميرة : هذه السيدة، وهذه الفتاة، وهذا الشاب ...

حمدي : وهذه الحجر الفخمة ...

سميرة : يبدو أنها أسرة محترمة !

حمدي : العجيب أن كل ذلك واضح ... واضح بتفاصيله، كأنها فعلاً لوحة مرسومة رسماً بارعاً
دقيقاً ...

سميرة : وكأن هؤلاء الأشخاص لا ينقصهم إلا النطق ...

حمدي : حقاً ... يكادون أن ينطقوا !

سميرة : وهذه النظرات بين السيدة والفتاة ...

حمدي : يخيل لي أن الفتاة مقطبة ... جامدة الملامح ...

سميرة : يبدو لي أنها حزينة مكتئبة ...

حمدي : بل هي أقرب إلى الغضب والسخط ...

سميرة : ربما ذلك أيضاً ...

حمدي : ولكن نظرات السيدة أيضاً ... أتلاحظين يا سميرة !؟

سميرة : نعم يا حمدي ... نعم ... نظرات غريبة ذات معنى ...

حمدي : نظرات فيها غموض ...

سميرة : وفيها شيء من الخوف ...

حمدي : وفيها أيضاً بعض النفور ...

سميرة : وشيء من الاستعطاف ...

حمدي : نعم ... مزيج عجيب من انفعالات مختلفة ...

سميرة : ومتناقضة ...

حمدي : أما الشاب في ركنه فلا يبدو على وجهه شيء أكثر من الاهتمام بما يقرأ ...

سميرة : ماذا يقرأ يا ترى ؟!

حمدي : هذا ما لا سبيل إلى معرفته ...

سميرة : ويا ترى ما هي علاقة أحدهم بالآخر ؟!

حمدي : ما داموا تحت سقف واحد فلا بد أنهم أسرة واحدة ...

سميرة : طبعاً ... ولكن ... ما علاقة السيدة بالفتاة ؟ ... وما علاقة الشاب بالاثنتين ؟

حمدي : السيدة ... ربما كانت حماة الفتاة ...

سميرة : وربما كانت أمها ...

حمدي : أنا أرحح أنها حماتها ... لأن هذه النظرات ...

سميرة : محتمل ... كل شيء محتمل ... إذا الشاب في هذه الحالة إما أنه خطيب الفتاة ...

حمدي : أو شقيقها ...

سميرة : وربما كان زوجها ...

حمدي : اسمعي يا سميرة ... أنا أقطع بأنه ليس خطيبها ... أتعلمين لماذا ؟

سميرة : لماذا ؟

حمدي : لأنه لو كان خطيبها لما تشاغل عنها بالقراءة ...

سميرة : إذن هو زوجها ...

حمدي : ولا هذا أيضاً ... لأن الزوجة كانت تنكد عليه عيشته لو تشاغل بالقراءة في حضورها

وحضور أمها ...

سميرة : ولماذا لم أنكد أنا عليك عيشتك وأنت تتشاغل عني بقهوتك وشلتك وطاولتك ؟!

حمدي : آه ... فكرتني بالقهوة والشلة والطاولة ... (ينظر في ساعته) الوقت سرقنا ونحن في هذا

التخريف ! ... أرجوك يا سميرة ... فنجان القهوة المضبوطة بسرعة ! ... إخواننا في انتظاري

على نار !

سميرة : كمل أنت لبسك ... القهوة جاهزة على تلقيمة البن ...

« تخرج ... »

حمدي : حتى الكرافتة لم أكن انتهيت من ربطها ...

« يأخذ في إعادة ربط العنق بتؤدة وإحكام ... وعندئذ يسمع صوت عزف بيانو ...

فيلتفت نحو الباب منادياً ... »

حمدي : سميرة ! ... سميرة !

سميرة (من الخارج) : اصبر يا حمدي ... اصبر !

حمدي : تعزفين على البيانو الآن !... أهذا وقته ؟

سميرة (من الخارج) : بيانو ؟ ... أنت مجنون يا حمدي ! ... أنا لم أفتح البيانو من بعد زواجنا

...

حمدي : إذن هو الراديو عندك ...

سميرة : الراديو مقفول ...

حمدي : عجيبة ! ... من أين يأتي صوت البيانو إذن ! ... إنه كالآتي من بعيد ... من عند

الجيران يا ترى ؟ ... راديو أحد الجيران مفتوح ؟ ... (يتجه إلى الشباك المطل على المنور، ولكنه يتبين

كأن الصوت خلفه) ... كأنه يجيء من بعيد ... ولكنه مع ذلك كأنه معي في نفس الحجرة ...

(يقترّب من الحائط ويصيح) .. إنه من الحائط ... من الحائط ... الفتاة تعزف على البيانو ...

الفتاة تعزف ... سميرة ... الحقيني يا سميرة !

سميرة (تدخل بصينية القهوة) : لماذا تصرخ هكذا ؟!

حمدي : مستحيل ! ... لا بد أنني فقدت عقلي ... ضعي القهوة هناك وتعالى انظري واسمعي

!

سميرة (تضع الصينية فوق منضدة) : ماذا جرى أيضاً ؟

حمدي : اسمعي ... أسمعين ؟

سميرة : نعم ... صوت بيانو ... من بعيد ...

حمدي : إنها هي ! ... هي !

سميرة : هي من ؟

حمدي : الفتاة ... إنها تعزف ... تعالى انظري !

سميرة (وهي متجهة إلى الحائط) : ما هذا الذي تقول ؟ التخريف له حدود ...

حمدي : رأيت يا سميرة ؟! ... رأيت ؟! ... هذا يحدث فعلاً !

سميرة (مأخوذة) : نعم ... نعم ...

حمدي : إنها تعزف !

سميرة : نعم ... تعزف !

حمدي : ماذا تقولين في هذا ؟!

سميرة : هذا غير معقول ...

حمدي : ولكنه يحدث ... يحدث أمام أعيننا ... ونسمعه بأذاننا ... أليست هي الفتاة التي تعزف على البيانو الآن ... وتحرك أصابعها ... ها هي تحرك يديها وأصابعها ... أتبصرين ؟ ... أسمعين ؟

سميرة : نعم ... نعم يا حمدي ... نعم ...

حمدي : أكاد أجن جنوناً !

سميرة : وأنا أيضاً !

حمدي : كيف يمكن أن يحدث هذا !؟

سميرة : اسكت يا حمدي ... اسكت أرجوك ...

حمدي : أليس هذا عجباً !؟

سميرة : اللحن جميل ... فيه رنة حزن وكآبة ... ولكنه جميل ...

حمدي : لكن كيف يمكن حدوث هذا !؟

سميرة : اسكت ... أرجوك ... اسكت ...

حمدي : انظري ... السيدة تسمع بغير ابتسام ... إنها تفرك يديها بحالة عصبية ... والشباب

... انظري ! إنه يحرك رأسه نحو الفتاة مبتسماً للعزف ... ثم ... ثم يعود إلى أوراقه ...

سميرة : لا ترفع صوتك أرجوك !

حمدي : أتظنين أنهم يسمعوننا ؟

سميرة : لا أدري ... ولكن لا ترفع صوتك !

حمدي (هامساً) : السيدة تنحني على الفتاة لتحادثها ... أليس كذلك ؟

سميرة : نعم ... نعم ... يحسن أن نسكت ونسمع ...

« سميرة تسحب بهدوء مقعداً تجلس عليه، ويشاركها زوجها في الجلوس على ذراع المقعد بكل هدوء ويصغيان في صمت تام ... وعندئذ ينتهي العزف ... ويسمع صوت تصفيق من الشباب قوياً، ومن السيدة فاتراً ... ويتبع ذلك حديث من هؤلاء الأشخاص فيما بينهم كأنه صادر من بعيد ولكنه واضح تمام الوضوح ... كما أن حركة هؤلاء الأشخاص على الحائط تبدو في البداية كأنه خيال الظل ... »

السيدة (للشباب) : قم إلى فراشك يا طارق واسترح ... أنت متعب من السفر ...

الشباب : إني لست متعباً يا أمي !

حمدي (هامساً لزوجته) : إنها أمه !

سميرة (هامسة) : نعم ... اسكت أرجوك ...

السيدة : لقد أعددت لك حجرة منعزلة هادئة لتكون على راحتك ...

الشاب : فعلاً يا أمي العزيزة، أنا في حاجة إلى العزلة قليلاً ... لا من أجل الراحة ... بل من أجل العمل ... عملي هذا الذي أكرس له حياتي ... أه يا أمي الحبيبة، لو أمكن تحقيق هذا المشروع ! ... لكن ثقي أنه ممكن التحقيق، هذا ما نكد ونجهد من أجله ... نعم كل جهدنا، أنا وشريكى الأستاذ بجامعة زيوريخ هو أن نجعل المشروع سهل التنفيذ ... أسهل من مجرد ملء إناء ماء من المحيط ... أبسط من مجرد استنشاق الهواء من الجو ...

السيدة : حقق الله أملك يا ابني ... لكن ...

الشاب : لا تقلقي علي يا أمي ... دعي هذا القلق الذي أراه مرتسماً على وجهك !

السيدة : أتري القلق على وجهي !!

الشاب : نعم ... أعصابك ليست مستريحة ... من أجلي طبعاً ...

السيدة : نعم من أجلك ...

الشاب : إني بخير ... إني دائماً بخير ... ثقي من ذلك ... ما دمت أشعر بحنانك يقويني ... ألم أذكر لك ذلك دائماً في رسائلي من الخارج ...

السيدة : نعم يا ابني ... نعم ...

الشاب : حتى عندما قلت رسائلك لي في العام الأخير، كانت صورتك التي معي دائماً كافية لأن تلهمني القوة !

السيدة : في العام الأخير يا ابني كنت ...

الشاب : أعرف ... أعرف ...

السيدة : تعرف ماذا ؟

الشاب : نادية أختي قالت في آخر رسالة لها ..

السيدة (في اضطراب) : ماذا قالت لك ؟ ... ماذا قلت له ؟

الفتاة (أمم البيانو وهي مطرقة) : لم أقل له أكثر مما اتفقنا عليه ...

الشاب : فعلاً ... كتبت لي تقول إنكما قررتما الإقلال من الرسائل حتى أتفرغ تماماً لمرحلتى الأخيرة ...

السيدة : فقط ؟

الفتاة (بعنف) : نعم فقط !

الشاب : حتى نبأ وفاة والدي لم تكتب لي به ... عرفته مصادفة من زميل لي جاء إلى سويسرا في العام الماضي ... وبالطبع عزاني ... كان يظن أنني أعرف ...

السيدة : لم نشأ إزعاجك بالخبر ...

الشاب : كان يجب أن أعرف هذا على الأقل ... إني كنت أحب والدي كثيراً ...

الفتاة (تجهش بالبكاء) : وا أبتاه !

السيدة : نادية !

الفتاة : هذا فوق طاقتي ... فوق طاقتي ...

الشاب : دعيتها يا ماما ... إنها أيضاً كانت تحبه كثيراً !

السيدة : هذا شيء قديم ... فات أوانه ... شيء قديم جداً ...

الفتاة : عام فقط ... عام واحد فقط ...

السيدة : أكثر من ذلك ...

الفتاة (منفجرة) : حتى أبونا لا نستطيع أن نبكيه !

السيدة : نادية ... نادية ... أرجوك !

الشاب : دعونا من هذه الذكرى المؤلمة ... لقد ذهب إلى رحمة الله ... بكل حبنا وإعزازنا ... فلنعد إلى الحاضر ... ككفني دموعك يا نادية ... واسمعي خلاصة مشروعي ، لن أقول لكم كل ما في هذه الأوراق ... إنها أشياء عملية وفنية دقيقة ... لكن ما يمكن قوله ببساطة هو أن هذا المشروع عند تحقيقه سيحدث أعظم انقلاب في تاريخ البشر ... أعظم من القنبلة الذرية ... تصوروا ! ... لأنه لن يهدم ... بل سيبنى ... ملايين البشر ... بدلا من أن يبادوا ، سيعيشون في رخاء ... طبعاً اشتقتم أن تعرفوا ما هو هذا المشروع العظيم ... سأقول لكم حالا ... أهولوني فقط دقيقتين أتم هذه الورقة حتى لا يضيع مني ما قرأت ... لحظة واحدة من فضلكم ...

« يعود إلى القراءة ... »

حمدي (لزوجته) : هو إذن عالم ... مخترع ... أليس كذلك ؟

سميرة (هامسة) : يظهر ...

حمدي : بل هذا مؤكد ... إنه يتكلم عن مشروع ...

سميرة : صحيح ...

حمدي : فهمت ما هو هذا المشروع ؟

سميرة : بل سيقول بعد لحظة ... ألم تسمع ؟

حمدي : انظري ... الأم والبنت ... مثل القط والفأر ... يظهر أن بينهما ...

سميرة (همساً) : اسكت يا حمدي أرجوك ... إنها تريد أن تتكلم ...

السيدة (تحني على ابنتها وتهمس) : ... نادية ... احذري ! ... احذري أن يفلت لسانك بكلمة ... أخوك يا نادية

... أخوك ... مستقبله ... أعماله ... مشروعه ... آماله ...

الفتاة : نعم ... أخي ... أخي ... هذا هو السلاح الذي في يدك ! ... من أجل أخي يجب أن أقفل فمي ...

السيدة : إلى الأبد يا نادبة ...

الفتاة : إلى الأبد سأظل أحترق ...

السيدة : بلا ضجة ... بلا فضيحة ...

الفتاة : تقبلين ذلك ... وتقبله أخلاقك ... وقبله ضميرك ...

السيدة : من أجل أخيك يا نادبة ... من أجل مستقبله ...

الفتاة : بل قولي من أجل نفسك ... من أجل خوفك أن يحترق كما أحترق ... يحترق تلك التي يعزها كل الإعزاز

... ويضع صورتها موضع التقديس ...

السيدة : كفاية يا نادبة ... كفاية ...

الفتاة : من أجل أخي ! ... نعم من أجل أخي !

« صمت »

حمدي (لزوجته) : سامعة يا سميرة ؟!

سميرة : نعم ... نعم ...

حمدي : هذا شيء فظيع ...

سميرة : حقيقة ...

حمدي : بينهما سر خطير ولا شك ...

سميرة : لماذا تحتقر البنت أمها هذا الاحتقار ؟!

حمدي : وتريد أن تمنعها من الكلام ...

سميرة : قد نعرف السر الآن ... اسكت ... ستتكلم ... اسمع !

السيدة : نادبة ... بنتي ... هل تعديني وعد شرف ...

الفتاة : شرف !! ... شرف !! ... تتكلمين عن الشرف ؟!

السيدة : هل أستطيع الاعتماد على حكمتك ؟!

الفتاة : يجب أن تعيشي في قلق ... على الأقل ... في خوف ...

السيدة : إني فعلاً قلقة وخائفة ...

الفتاة : هذا هو عذابك فقط ... لأنك لا تعرفين عذاب الضمير ...

السيدة : نادبة ... كفاية ... كفاية ... أنا أمك رغم كل شيء ...

الفتاة : نعم ... مع الأسف ... أمي ... أمنا ...

السيدة : اسمعي يا نادية ... الصبر له حدود ... والاحتمال له نهاية ...

الفتاة : ماذا يمكن لمثلك أن تفعل ؟ ... ما دام الضمير نائماً !

السيدة : لا داعي للتحدي ... لا تدفعيني يا نادية إلى أن أفعل ما أكره ...

الفتاة : إني واثقة أنك لن تفعل شيئاً ...

السيدة : اعتقادك هذا أني لا أستطيع أن أفعل شيئاً هو ما يعطيك هذه القوة ... هو ما يمكنك مني ومن خناقي ... هو ما يشجعك على إهاتي وإذلاي ... أي طعم لحياتي وأنا أتحمل كل يوم، بل كل ساعة وكل دقيقة هذا الذل والهوان من ... من ... من بنتي !

« صمت »

حمدي (لزوجته) : احمدي ربنا أنك لم تخلفي !

سميرة : فعلاً ... إهانة البنت لأمها شيء فظيع ...

حمدي : لكن هذا غير طبيعي ... المسألة فيها سر ...

سميرة : مؤكد ...

حمدي : انظري ... البنت ترفع رأسها، تريد النهوض ...

الفتاة : إني ذاهبة إلى حجرتي ...

السيدة : اجلسي في مكانك ... قد يلحظ أخوك شيئاً ...

الفتاة : لن أستطيع الحركة إذن !! ... تحركاتي ستكون من الآن تحت رقابتك، ما دام أخي هنا ... أليس كذلك ؟

السيدة : ولن تجتمعي به على انفراد !

الفتاة : أهذا أمر أم توصل ؟

السيدة : توصل ...

الفتاة : تقولينها بلهجة الأمر ...

السيدة : نعم ... لأنني عند اللزوم لن أتردد في القيام بعمل ما ...

الفتاة : عمل ما ؟ ! ... تقومين بعمل ما ؟ !

السيدة : نعم ... أنا أيضاً لدي خطتي ...

الفتاة : لا شك عندي في ذلك ... ليست هذه أول مرة تضعين فيها خطة ... خطة ناجحة مع الأسف الشديد !

السيدة : أنا لا أثق بك ... لا يمكن الوثوق بك !

الفتاة : تعتدين أني سوف أبوح له ...

السيدة : اليوم أو غداً ...

الفتاة : على كل حال هنالك أشياء ... أو ... أوضاع لا يمكن لأخي أن يظل يجهلها طويلاً ...

السيدة : قلت لك أكثر من مرة دعيني أنا أتصرف ... لا تتدخلني أنت في شيء ... سأتولى الأمر على طريقتي ...
أما أنت فلا تنطقي بكلمة ! ... فاهمة ؟

الفتاة : أهو تهديد ؟

السيدة : نعم ... إذا أردت أن تحطمي أخاك ... النابغة ... فافعلي !

الفتاة : أخي ... النابغة ... نعم !

« تعبت أصابعها بمفاتيح البيانو فيخرج ذلك اللحن الجميل الحزين خافتاً »

سميرة (لزوجها) : ما أجمل هذا اللحن ! ... إنني كدت أحفظه ...

حمدي : هذا الشاب المستغرق في القراءة ... يبدو أنه قارب الانتهاء ... إنه يطوي الورق ...

الشاب : اسمعوا الآن ... اسمعي يا ماما ... اسمعي يا نادية ...

السيدة : إنني مصغية يا ابني ... تكلم يا طارق !

الشاب : المشروع الذي نعمل من أجله بسيط جداً ... بسيط في معناه ... يلخص في كلمة واحدة ... ولو أنه أهم شيء في حياة الناس : الطعام ... مشروعنا هو «الطعام لكل فم»، فكرتنا هي أن تحطيم الذرة عمل لا قيمة له عند الناس إذا لم يؤد إلى تحطيم الجوع ... كيف نحطم الجوع ؟ ... كيف نلغيه إلغاءً ؟ ... هذا هو مشروعنا ...

السيدة : ولكن هل هذا ممكن يا طارق ؟

الشاب : ممكن يا ماما ... ممكن باستنباط واستخراج طاقات هائلة بدون تكاليف تذكر ... سأبسط لك الموضوع ...
تصوري مثلاً أن كيلو اللحم يساوي غداً بعد تنفيذ المشروع نصف مليم ...

السيدة : كيلو اللحم بنصف مليم ؟ !

الشاب : وقيسي على ذلك بقية المأكولات والحاجيات ...

سميرة (همساً لزوجها) : سامع يا حمدي ؟! ... كيلو اللحم بنصف مليم !

حمدي (همساً لزوجته) : ولد نابغة صحيح ...

السيدة : معنى ذلك يا طارق أن كل الناس ستأكل اللحم ...

الشاب : وستلبس وتسكن بلا نفقات تذكر ...

السيدة : لن يكون هناك فقراء إذن ؟

الشاب : على الإطلاق ...

السيدة : ومن الذي يخدمنا ؟ ... لن نجد لنا خدماً ؟ !

الشاب : العلم ... المخترعات ... الآلات والأجهزة ... عندما نلغي الجوع سنلغي في نفس الوقت عبودية الإنسان للإنسان !

السيدة : كيف يمكن ذلك ؟

الشاب : أمكننا ذلك بالفعل ... علمياً ونظرياً المسألة محلولة ولكن الصعوبة في التنفيذ والتطبيق ... لأن هذا يحتاج إلى إجماع العالم كله وتكاتف الدول جميعاً ... وهذا غير ميسر الآن ... لسبب بسيط ، وهو أن من لهم مصلحة في السيطرة على الناس والشعوب لا يناسبهم إلغاء الجوع ... إن الجوع هو سلاحهم في السيطرة الاقتصادية ... وهم يفضلون بذل الجهد والمال في تدعيم أسلحة الدمار التي تزيد في انتشار الجوع ... ولا يعملون خالصين من أجل الطعام والسلام ...

السيدة : إذن مشروعك يا بني ...

الشاب : مجهز علمياً ونظرياً في أدق تفصيلاته ... وهذا كل ما نستطيع أن نفعل الآن ... انتظاراً للغد ... كلنا أمل في الغد ... عندما يستيقظ وعي العالم كله ... عندما يستيقظ الضمير الإنساني ... الضمير الحقيقي ...

الفتاة : الضمير ؟ ! ... ومتى يستيقظ هذا الضمير يا طارق ؟

الشاب : كلنا أمل ... كلي أمل ...

الفتاة : يحسن أن لا تعلق آملاً كبيراً على تيقظ الضمير ...

السيدة : نادية ... نادية ...

الشاب : لها حق ... لك حق يا نادية ... أنا لا أهون من شأن المعوقات ... كل عمل نافع عظيم أمامه معوقات ... ولكن يجب أن لا نياس أبداً ...

السيدة : اذهبي يا نادية إلى حجرتك واستريحي !

الفتاة : لست متعبة ...

السيدة : كنت منذ قليل تريدن الاعتكاف !

الفتاة : غيرت رأبي ...

السيدة : ابقِي إذن ... أنت حرة ...

الفتاة : طبعاً أنا حرة ... أتحرك تبعاً لرغباتي أنا ...

السيدة : اضبطي أعصابك يا نادية !

الفتاة : هذا أيضاً من شأني ...

الشاب : اسمحي لي يا نادية ... أنا ملاحظ ...

الفتاة : طبعاً ... لا بد أن تكون لاحظت ... ويهمني جداً أن تلاحظ ...

السيدة : إذن أنت قاصدة ومتعمدة أن ...

الشاب : تدهشني لهجة الحديث بينكما ! ... اسمحي لي يا نادية بكلمة ... إني كنت أتوقع عكس ما أرى ...
كنت أتوقع - خصوصاً بعد وفاة والدنا - أن تكون العلاقة بينك وبين أمنا فياضة بالحب والحنان ... نحن الثلاثة الآن
كل الأسرة ... كل ما بقي من الأسرة ... ولا بد أن يكون الحب والعطف والحنان الذي يربطنا أضعاف ما كان في
الماضي ... أليس كذلك يا نادية ؟

الفتاة : نحن الثلاثة ؟ ! !

الشاب : نعم ... نحن الثلاثة ...

الفتاة : كل الأسرة ؟ ! !

الشاب : طبعاً يا نادية ...

الفتاة : ها ها ها ... (تضحك صيحة هستيرية) ...

الشاب : ما معنى هذا يا نادية ؟ !

الفتاة : اسألها ... اسأل أمك ! ... أمنا !

الشاب : لست أفهم ...

الفتاة : هي تتولى إفهامك على طريقتها !

الشاب : ماما ... أمي ... ما معنى كل هذا ؟ ! ... أتخفين عني شيئاً ؟

السيدة : سأخبرك يا طارق ...

الشاب : أخبريني !

السيدة : سأخبرك فيما بعد ... عندما نكون وحدنا ...

الفتاة : عندما لا أكون حاضرة ...

الشاب : ولماذا لا تخبريني في حضور أختي ؟

الفتاة : تريد أن تخبرك على طريقتها !

الشاب : طريقتها ؟ !

السيدة : اسمع يا ابني ... سأقول لك كل شيء ... لقد تزوجت ...

الفتاة : قبل سنوية المرحوم والدنا ...

السيدة : بعد وفاته بستة أشهر ...

الشاب : تزوجت من ؟

السيدة : الدكتور ممدوح ...

الشاب : ابن عمك ؟

السيدة : نعم ...

الفتاة : كان بينهما حب عنيف منذ الصغر ...

السيدة : اسكتي يا نادية !

الشاب : ولماذا لم تتزوجيه هو من مبدأ الأمر ؟

الفتاة : كان فقيراً ... فضلت عليه والدنا الغني ...

السيدة : نادية !

الفتاة : قولي كل المعلومات ... لا تخفي التفاصيل ... كل المعلومات كما اطلعت عليها في رسائله القديمة إليك ...
المحفوظة في صندوق مجوهراتك ... كنت من أسرة فقيرة ... وبهر عينك المال ... تزوجت والدنا وتركت قلبك مع
ابن عمك ... ووالدنا المسكين لم يعرف يوماً أنه عقد على صفقة ناقصة ...

السيدة : أقسم أنني لم أخدعه طول حياته ...

الفتاة : لأن ابن عمك كان قد رحل من المدينة إلى الصعيد وتزوج هناك ... إلى أن ماتت زوجته الغنية فجاء واستقر
في القاهرة ...

السيدة : ومع ذلك لم أحاول الاتصال به مرة واحدة ووالدك على قيد الحياة ...

الفتاة : على كل حال لم تتصلي بطبيب غيره ليعالج والدنا في مرضه الأخير ...

السيدة : وماذا في هذا ؟ !

الفتاة : في هذا أشياء كثيرة ...

السيدة : ماذا تقصدين ؟

الفتاة : تريدان أن أفصح ؟

السيدة : طارق ... ابني ... ابني ... أنقذني من هذه البنت المجنونة ... هل تريد أن تسمعها هي أم تسمعني أنا ؟

الشاب : اسكتي يا نادية ... أرجوك ... دعيتها هي تتكلم !

السيدة : أشكرك يا ابني ... نعم يا طارق ... لقد تزوجت الدكتور ممدوح وسأشرح لك السبب ...

الشاب : وأين هو الآن ؟

السيدة : مسافر في مأمورية لمدة أسبوع ... الواقع أنه رأى أن يتغيب قليلاً حتى ...

الفتاة : حتى تهدي الجو ...

السيدة : نعم ... وجدنا هذا أنسب ... فإن رؤيتك له في هذا البيت عند دخولك لأول مرة ... ربما كانت ...

الشاب : ولماذا لم تكتبي لي بذلك قبل عودتي ؟

السيدة : ربما ...

الشاب : هو إذن عمل تخجلين منه ؟

السيدة : افهمني يا طارق أرجوك ! ... هذا عمل كان لا بد منه ... إنه مخجل قليلاً لي إزاء أولادي ... ولكنه ضروري ... ضع أي امرأة أخرى في مكاني ... ماذا تصنع ؟ ... ما هو مصيري ؟ ... بعد قليل سأصير وحيدة ... نادبة ستتزوج ... طلاب يدها موجودون ... وستكون لها حياتها ... وزنت كذلك ستكون لك حياتك ... بين لحظة وأخرى سأجد نفسي بمفردي ... وأنا لست مسنة، هل أقبر حياتي أو أعيد بناءها من جديد ؟ ... أنصفي يا ابني !

الشاب : الحق يا أمي أنني ...

السيدة : تكلم بصراحة يا طارق !

الشاب : بصراحة يا أمي لا أستطيع أن ألومك ... خصوصاً أنا ... بطبيعة تكويني العقلي والعلمي ... دائماً في جانب بناء الحياة من جديد ... لكن بعاطفتي الأبوية ... اسمحي لي ... أما كان يمكن الانتظار قليلاً ؟ ... بعد مضي السنوية الأولى على الأقل ...

السيدة : في هذا أنا مخطئة ...

الشاب : على كل حال ... هذا خطأ طفيف ...

الفتاة (تصفق صائحة) : وليسدل الستار على هذا الخطأ الطفيف !

الشاب : نادبة ... لا تسرفي في التحامل على أمنا ! ... ليس لنا أن نحرمها حقها في الحياة ...

الفتاة : حقها في الحياة ... على حساب حياة أخرى !

الشاب : ليس على حساب أحد يا نادبة ... نحن لم نعد أطفالاً لترعانا ...

الفتاة : لست أعني حياتك أو حياتي يا طارق ... أنا أقصد حياة أخرى عزيزة علينا ... والدنا يا طارق !

الشاب : والدنا ؟ !

الفتاة (صائحة) : والدنا ... مات مقتولاً يا طارق !

الشاب : ماذا تقولين ؟ !

السيدة : مجنونة ... مجنونة ... لا تصدقها !

الفتاة : عندي الدليل ... عندي الدليل يا طارق ... عندي الدليل ! ... قتلوه ... قتلوه !

« تتهار »

الشاب : نادبة ! ... أغمي عليها !

« الشاب والسيدة يضعان الفتاة على الكنية ويحاولان إفاقتها بحركات صامتة ...
بينما حمدي وسميرة مستغرقان في المشاهدة والمتابعة كما لو كانا قد نسيا نفسيهما
... إلى أن تنتبه سميرة »

سميرة : إيه ... حمدي ... البنت أغمي عليها !

حمدي : وعندها الدليل ...

سميرة : ضروري ستفيق ...

حمدي : نرجو ذلك ... اصبري ... اصبري !

سميرة : قل لي يا حمدي ... كم الساعة ؟ ... نسينا أنفسنا ! ... الله ... انظر ! ... (تلتفت
إلى صينية القهوة) ... لم تشرب قهوتك ... قهوتك بردت !

حمدي (كالمستيقظ) : حقاً ... نسينا أنفسنا !

سميرة : وميعادك ... والشلة ... والطاولة ؟!

حمدي : دعينا من كل ذلك ... نحن الآن في هؤلاء ... ظهر أن الرجل مات مقتولاً ... لكن
قولي لي ...

« جرس الباب يدق »

سميرة : جرس الباب !

حمدي : عندنا ؟ ... أو ... (يشير إلى الحائط) أو عندهم ؟

سميرة : والله ما أنا عارفة ... أظن عندنا ...

حمدي : نعم ... أظن عندنا ... قومي افتحي ...

« سميرة تذهب وتفتح »

سميرة (من الخارج) : لا ... لا ... لا ... انتظر ... انتظر ... لا يمكن أبداً !

حمدي : من يا سميرة ؟

سميرة (داخلة) : مبيض ... ست عطيات أرسلت لنا المبيض يبيض الحائط ... تصور !

حمدي (صائحاً) : يبيض الحائط ... مستحيل ... مستحيل ... لا يمكن ! ... نبيض ؟! ...

نضيع الناس ؟! ... نضيع الأسرة التي على الحائط ... لا نريد أي تبيض أبداً ... الحائط
يبقى كما هو ... كما هو بكل ما عليه ... و ... ومن عليه ...

سميرة : طبعاً ... طبعاً ...

حمدي : اطردي المبيض حالاً ... اطرديه !